

مادة (نشأ) ومتعلقاتها السياقية في التعبير القرآني

م . د . باسم محمد علي السامرائي

تدريسي في كلية الإمام الأعظم - رحمه الله - الجامعة

قسم أصول الدين ديالى

**The Relation of Surat Al-Ma'idah endings with the
Intentions of Its Ayas: A Study
in the Rhetoric of Suras'
Intertextuality.**

M . Dr . BASiM Mohammed Ali Jasem Al samurai

A Teacher at the College of Al - Emam El -

Aadham - Blessed be his

soul - Al - gamiaa

Department ; Fundamentals Of Islamic

Religion - Diyala .

يسعى بحثنا الموسوم بـ (مادة (نشأ) ومتعلقاتها السياقية في التعبير القرآني) إلى تناول هذه المادة إستادا إلى منهج التحليل البلاغي وبيان استعمالاتها وتوظيفاتها المتعددة التي كشفت مسيرة البحث فيها عن أهم مظاهرها المثبتة في عنوانات داخلية اشتقت عن طريق التعبير القرآني الذي سطعت أنواره بعد الإفادة مما أورده المفسرون ، وأرباب البلاغة وأساطينها ، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنَّ النَّظْرَ في القرآن الكريم من أسباب الثبات والتكريم .تنوعت أبواب البحث للكشف عن جمال جلال المادة عبر الآتي : (سياق الوصف ، وسياق الإقرار بنعم الله ، ومظهر الإبتكار ، وسياق الإبهار ، وسياق التعالق ، والنشأة في أول الخلق وآخره) **كلمات مفتاحية: مادة سياق . الإبتكار . الانبهار . التعالق النشأة**

Summary:

Our research tagged with (material (nasha) and its contextual relevance within). Among what the commentators, the masters of rhetoric and its masters mentioned, and perhaps we do not exaggerate if we say that consideration of the Holy Qur'an is the means of steadfastness and honor. The chapters on the search for the beauty of the image varied: (the context of description, and the context of acknowledgment).

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه : وبعدُ فإنَّ بحثنا الموسوم بـ (مادة (نشأ) ومتعلقاتها السياقية في التعبير القرآني) يسعى إلى الكشف عن السياق الذي فيه مادة (نشأ) في القرآن ، والصيغ والمعاني التي أحالت عليها . يهدف البحث إلى إظهار جانب إعجازي بلاغي افترضه الباحث وجودها في هذا المقام . ذُكرت مادة (نشأ) في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة ، في استعمالات وتوظيفات متعددة ، رصد البحث أهم مظاهرها في عنوانات تألفت منها مادة البحث استنادا إلى المعطيات التي اشتقت من التعبير القرآني بعد الإقادة مما قاله المفسرون وأظهرهم : تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر الطبري ، وتفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم جار الله الزمخشري ، وتفسير التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن عاشور ، فضلا عن المصادر البلاغية والأسلوبية وأهمها : دلائل الإعجاز ، لأبي بكر محمد الجرجاني ، ومفتاح العلوم ، لأبي يعقوب السكاكي ، والإيضاح ، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني وكان منهج التحليل البلاغي هو الملاذ الذي حاول البحث الكشف فيه عن مظان هذه المادة ومتعلقاتها السياقية التي يحيل عليها عنوان البحث . تنوعت أبواب البحث للكشف عن جمال جلال المادة عبر الآتي : (سياق الوصف وسياق الإقرار بنعم الله ، ومظهر الإبتكار وسياق الإبهار وسياق التعالق ، والنشأة في أول الخلق وآخره) إنَّ البحث في القرآن الكريم نعمة أشكر الله أن هداني ، إليها وما هذا البحث إلا محاولة أبتغي منها مرضاة الله - تعالى - أولا ؛ ثم السعي لتطوير مهارات التعبير في هذه اللغة الخالدة ، والله أسأل التوفيق والسداد .سياق الوصف التعبيري لمادة (نشأ) يعد الحوار من أهم أساليب التعبير القرآني ، والحوار في عينات البحث المختارة يمثل وسيلة لاستقراء ظاهر النصوص ودلالاتها التعبيرية ، ومن أهم سياقات الوصف التعبيري لمادة(نشأ) :

أ : قال تعالى : ((إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْرَبُ قَيْلاً)) المزمّل : ٦ . أراد قيام الليل والانتصاب للصلاة ، وقيام الليل فيه تركية للنفوس ، وتقوية للسرائر ، واستدعاء لنقاء المشاعر وصدقها ، وجاء وصفها بـ (الناشئة) ؛ لأنَّ المؤمن هو من أنشأها بعد أن هدأ الليل وهدأ معه الناس ، إلى ذلك ذهب الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فيقول إنَّ : ((ناشئة اللَّيْلِ النفس الناشئة بالليل، التي تنشأ من مضجعتها إلى العبادة ، أى: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة: إذا ارتفعت. ونشأ من مكانه ونشر : إذا نهض)) (١) وكونها . وقد ناسب ما قبل الآية موضوع البحث ما بعدها ، قال تعالى : ((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْرَبُ قَيْلاً * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً)) المزمّل : ٥ - ٧ وفي قوله ((إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ)) ومعلوم أنَّ الناشئة مصدر من (نشأ) نشأ النَّشْءُ : أول ما ينشأ من السحاب وورد استنباط معانيها وتأليفها مع التعبير عنها بما يناسب المقام أفاد الوصف القرآني من هذه القيمة العليا المكتسبة من ذكر السحابة ما أعطاهها هذه القوة ، وفي قوله : ((إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ)) يُقَالُ: نَشَأْتُ نَشْأً نَشْأً فَهِيَ نَاشِئَةٌ، وَالْإِنشَاءُ الْإِحْدَاثُ، فَكُلُّ مَا حَدَثَ فَهُوَ نَاشِئٌ (٢) ، الناشئة مصدر من نشأ إذا .

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ) دار الكتاب العربي

- بيروت ، ط ٣ - ١٤٠٧ هـ : ٤ / ٦٣٨

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب

الري (ت ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ - ١٤٢٠ هـ : ٣٠ / ٦٨٤ . ويعضد ذلك قوله تعالى : ((أَمْنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ

اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ ((الرُّمْرِ: ٩)) (وَلِأَنَّ اللَّيْلَ وَقَفْتُ السُّكُونَ وَالرَّاحَةَ فَإِذَا صُرِفَتْ إِلَى الْعِبَادَةِ كَانَتْ عَلَى الْأَنْفُسِ أَشَقَّ وَلِلْبَدَنِ أَثْعَبَ فَكَانَتْ أَدْخَلَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْأَجْرِ وَالْفَضْلِ)) (٢) إِنَّ الْقِيَامَ لِلصَّلَاةِ بَعْدَ النَّوْمِ هِيَ أَشَدُّ ثِقَلًا ، وَأَدْعَى لِلتَّوْبِ والتَّقَرُّبِ مِنَ اللَّهِ ، لِلسُّكُونِ وَالتَّفَرُّغِ وَعَدَمِ الْإِنْشَاغَالِ بِسُوءِهَا ، يَقُولُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت ١٣٩٣ هـ) : ((اللَّيْلُ أَدْعَى إِلَى طَلَبِ الرَّاحَةِ فَإِذَا أَثَّرَ الْمَرْءُ الْعِبَادَةَ فِيهِ اسْتَبْتَارَ قَلْبُهُ بِحُبِّ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ)) (١) ، وَهَذَا الْقَوْلُ يَنْقَلِنَا إِلَى قِيَمَةٍ اعْتِبَارِيَّةٍ لَتَكْتَمِلُ صُورَةُ الْبَهْجَةِ الْمُتَحَقِّقَةُ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ كَشَفِ سِيَاقِ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ عَنِ اخْتِصَاصِ اللَّيْلِ بِالنَّفْحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالتَّجَلِّيَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَسُكُونِ الْقُلُوبِ وَانْقِطَاعِهَا عَنِ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَكَانَتْ أَدْعَى لِاسْتِقْبَالِ الْفِيوضَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ .

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي : ٢٢ - ١١٣ / ١١٤ .

(٢) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ هـ : ٢٣ / ٣٤٦ . سِيَاقُ التَّنْكِيرِ بِنِعْمِ اللَّهِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَصْوِيرٍ ، وَوَهَبَهُ الْعَقْلَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي خَلْقِهِ الْمُعْجَزِ الدَّالِّ عَلَى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ تَعَالَى ، ((وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)) ، دَلَّتِ الْمُتَعَلِّقَاتُ السِّيَاقِيَّةُ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ عَلَى التَّنْكِيرِ بِعَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِنْسَانَ وَنِعْمِهِ الَّتِي لَا تَحْصَى ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنْشَأْتُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)) ، ذَلِكَ يَسْتَدْعِي شُكْرَ النِّعْمَةِ وَالْمُنْعَمِ وَأَنْ تَصْرِفَ كُلَّ الْعِبَادَاتِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَمِنْ أَهَمِّ سِيَاقَاتِ التَّنْكِيرِ بِنِعْمِ اللَّهِ :

أ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ((هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)) هُود : ٦١ . فِي الْآيَةِ تَنْكِيرٌ بِأَنَّهُ هُوَ مِنْ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَلَيْسَ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، وَإِنْشَاؤُهُمْ مِنْهَا خَلَقَ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ ، يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الطَّبْرِيِّ (ت ٣١٠ هـ) فِي تَأْوِيلِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ((هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ)) أَي : ((هُوَ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ ، فَخَرَجَ الْخَطَابُ لَهُمْ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ فِعْلُهُ بِمَنْ هُمْ مِنْهُ)) (١) ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكُلَّ مَخْلُوقُونَ مِنْ صَلْبِ آدَمَ ، وَخَلَقَ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ وَفِي ذَاتِ السِّيَاقِ يَقُولُ : ((وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)) أَي : جَعَلَكُمْ عَمَارًا ، أَمَرَ خَلْقَهُ أَنْ يَعْمُرُوهُا ، بِالْعُنَابَةِ وَالزَّرْعَةِ وَالسُّكْنِ وَشَقِ الْأَنْهَارِ وَزَّرْعَةِ الْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا ، وَفِي هَذَا يَقُولُ الزَّمْخَشَرِيُّ (ت ٥٣٨ هـ) : ((كَانَ مَلُوكُ فَارِسٍ قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ حَفْرِ الْأَنْهَارِ وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ ، وَعَمَرُوا الْأَعْمَارَ الطُّوَالَ ، مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنْ عَسْفِ الرِّعَايَا ، فَسَأَلَ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ زَمَانِهِمْ رَبَّهُ عَنِ سَبَبِ تَعْمِيرِهِمْ ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ : إِنَّهُمْ عَمَرُوا بِلَادِي فَعَاشَ فِيهَا عِبَادِي)) (٢) ، إِنَّ عَمَارَتَهُمْ لِلْأَرْضِ مَعَ ظَلْمِهِمْ لِرِعِيَّتِهِمْ كَانَتْ سَبَبًا فِي إِطَالَةِ أَعْمَارِهِمْ ، وَيُمِضِي سِيَاقَ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى لَزُومِ الْاسْتِغْفَارِ ، ((فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)) الْمَفْضِي إِلَى رِضَا الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ ، وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ .

(١) جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ ، مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبِ الْأَمَلِيِّ ، أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ (ت ٣١٠ هـ) ، الْمُحَقِّقُ : أَحْمَدُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ ، مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ ، ط ١ - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م : ١٥ / ٣٦٨ .

(٢) الْكَشَافُ ، الزَّمْخَشَرِيُّ : ٢ / ٤٠٧ كَشَفَتْ الْمُتَعَلِّقَاتُ السِّيَاقِيَّةُ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ((هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)) عَنِ اسْلُوبِ النِّشْأَةِ الْأُولَى وَكَأَنَّهَا جَاءَتْ فِي سِيَاقِ التَّقْرِيرِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْإِنْشَاءِ الْوَارِدِ فِي بَدَايَةِ الْآيَةِ . فِي سِيَاقِ الْآيَةِ قَوْلُهُ : ((هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ)) جَمَعْتَ الْمَادِي وَالْمَعْنَوِي فَكَانَتْ مَقْدَمَةً ، ثُمَّ تَلَاهَا قَوْلُهُ : ((فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)) كَانَتْ نَتِيجَةً كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي عِلْمِ الْمَنْطِقِ .

ب : قَوْلُهُ تَعَالَى : ((فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)) الْمُؤْمِنُونَ : ١٩ التَّخْصِيصُ بِهَذِهِ الْأَنْوَاعِ (النَّخِيلِ ، الْأَعْنَابِ ، الْفَوَاكِهِ) لِنَبِيَانِ أَنَّهَا أَكْرَمُ الشَّجَرِ وَأَفْضَلُهَا وَأَنْفَعُهَا ، وَوَصَفَ النَّخْلَ وَالْعَنْبَ بِأَنَّ ثَمَرَهُمَا جَامِعٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : بِأَنَّهُ فَالْكُهُ يَنْفَكُهُ بِهَا ، وَطَعَامٌ يُوَكِّلُ رَطْبًا وَيَابِسًا ، رَطْبًا وَعَنْبًا ، وَتَمْرًا وَزَيْبِيًا (١) وَبَيْنَ سُبْحَانِهِ الْآثَارُ الْعَظِيمَةُ الْمُنْبَتِقَةُ عَنِ انْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ بِقَوْلِهِ : ((فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ)) أَي : وَهَبْنَا لَكُمْ بِسَبَبِ نَزُولِ الْمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ بَسَاتِينَ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ، يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ (ت ٦٠٦ هـ) فَيَقُولُ (اعْلَمْ أَنَّ الْمَاءَ فِي نَفْسِهِ نِعْمَةٌ وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ سَبَبٌ لِحُصُولِ النِّعَمِ فَلَا جَرَمَ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلًا ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَحْضُلُ بِهِ مِنَ النِّعَمِ ثَانِيًا)) (٢) إِنَّ ذِكْرَ ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَانْتِهَاءِ أَمْرِهِ دَلَالَةٌ لِإِبْجَادِ وَابْتِكَارِ ، وَرَدَّ فِي سِيَاقِ التَّنْكِيرِ بِنِعْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، بِشَقِيهِ الْمَادِي وَالْمَعْنَوِي ، وَقَوْلُهُ ((فَأَنْشَأْنَا)) أَي : جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ سَبَبَ النَّبَاتِ ، وَأَوْجَدْنَا النَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ ؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ الثَّمَارِ وَأَبْهَاهَا (٣) .

(١) ينظر : الكشاف ، الزمخشري : ٣ / ١٨٠ .

(٢) مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي : ٢٣ / ٢٦٨ .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م: ١٢ / ١١٣. دأب القرآن على تناول موضوع النعم التي أسبغها الله على عباده، ومنها المعنوية كالأخلاق النبيلة والكرم والصبر وحب الخير والسكينة وغيرها، وكذا النعم المادية كالرزق والصحة والعمل والأصدقاء والعائلة وغيرها، ونعم الله لا تعد ولا تحصى ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)) النحل: ١٨، وَتَذَكَّرِ نِعْمَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَيْدُنُ الْمُسْلِمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ((وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)) المائدة: ٧.

ج: قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)) المؤمنون: ٧٨ خصص المولى تبارك وتعالى السمع والأبصار والأفئدة، ((لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها. ومقدمة منافعها أن يعملوا أسمعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم. ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عدما)) (١) في الآية تكبير بتوحيد الله تعالى، وبما أنعم على عباده، ذلك يستدعي قيامهم بشكره، وإظهار العبودية له وحده لا شريك له، يقول القرطبي (ت ٦٧١ هـ) إن الله تعالى بعد أن: ((عَزَّفَهُمْ كَثْرَةَ نِعْمِهِ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ ((قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)) أَي: مَّا تَشْكُرُونَ إِلَّا شُكْرًا قَلِيلًا)) (٢). وسياق التعبير القرآني في الآية يلفت نظرهم إن الذي أنشأ لهم السمع هو الله سبحانه، وليس الأصنام التي يصرفون عبادتهم لها من دون الله. والخطاب للمشركين على طريقة الالتفات، والمقصود منه التعريض بالمشركين وفي ذلك يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): ((هَذَا رُجُوعٌ إِلَى غَرَضِ الاسْتِدْلَالِ عَلَى انْفِرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْإِمْتِنَانِ بِمَا مَنَحَ النَّاسَ مِنْ نِعْمَةٍ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ بِتَخْصِيصِهِ بِالْعِبَادَةِ)) (٣).

(١) الكشاف، الزمخشري: ٢ / ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٢ / ١٤٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، بن عاشور: ١٨ / ١٠٣.

سياق التعبير القرآني يستدعي عقول المشركين من خلال دلالة الألفاظ، ((وهو الذي أنشأ لكم)) وأمتن عليكم بفضلته ورحمته، بنعمة السمع، وبنعمة الأبصار، وبنعمة الأفئدة، فتسمعون وتبصرون وتعقلون، ومع ذلك لا تتدبرون هذه النعم حق التدبر، ولو تدبرتم لاهتديتم إلى الحق. وبنحو الذي قلنا، قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)) الملك: ٢٣، وفي الآية جمع الأبصار لتعلقها بأنواع عديدة من الموجودات، وكذا الأفئدة باعتبار تعدد أصحابها وإدراكها أجناساً وأنواعاً كثيرة، وأفرد السمع؛ لأن أصل السمع أنه مصدر؛ ولأنه لا يتعلق إلا بنوع واحد وهي الأصوات، ويذهب إلى ذلك ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) فيقول: ((هَذَا اثْتِقَالٌ مِنْ تَوَجُّهِهِ اللَّهُ تَعَالَى الْخُطَابَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لِلتَّبْصِيرِ بِالْحُجَجِ وَالذَّلَائِلِ وَمَا تَخَلَّلَ ذَلِكَ مِنَ الْوَعِيدِ أَوْ التَّهْدِيدِ إِلَى خُطَابِهِمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ مَا سَيَذَكَّرُ تَعَقُّنَا فِي الْبَيَانِ وَتَنْشِيطًا لِلذَّهَانِ)) (١)، فالترابط بين ما يدعو إليه الخطاب القرآني والمعاني المستحضرة بمستوييها المادي والمعنوي حاضرٌ وفاعلٌ يجعل المتلقي مستسلماً قاراً بنعم الله.

د: قوله تعالى: ((أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ)) الواقعة: ٢٢ إن القرآن الكريم هو تعبير بياني مقصود بمعنى أن كل كلمة وكل حرف فيه وضع وضعاً مقصوداً، ومن أساليب العرب التعبير عن النفس بضمير (نحن) للتعظيم، والله تعالى يخاطب العرب بلسانهم، وفي الآية مدار البحث، من يتأمل النار يجدها لا تشتعل إلا في الأشجار، والاستفهام هنا إنكاري والسؤال هنا مضاف إلى البشر، على صيغة الفعل (أنشأتم)، وفي مقابلة جاء بالفعل منسوباً إليه سبحانه وتعالى بصيغة الاسم (المنشئون) فنفي عنهم الفعل وأثبتته لنفسه بصيغة الاسم - تعالى الله علواً كبيراً - إن المتعلقات السياقية في التعبير القرآني بصيغة الاستفهام الإنكاري التقريرية، تحمل المتلقي على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر في قلبه. يذهب الامام الطبري (ت ٣١٠ هـ) إلى

(١) ينظر: التحرير والتنوير، بن عاشور: ٢٩ / ٤٦ القول: ((أفرأيتم أيها الناس النار التي تستخرجون من زندقكم)) أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ((يقول: أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا وَاخْتَرَعْتُمْ أَصْلَهَا)) (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ)) يقول: أَمْ نَحْنُ اخْتَرَعْنَا ذَلِكَ وَأَحْدَثَاهُ ؟)) (١)، فَإِنَّ الاسْتِفْهَامَ هُنَا سِيْقَ لغرض التقرير، وهو استفهام مجازي وليس استفهاماً حقيقياً. قد يستعمل الاستفهام لحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بالمستفهم عنه، أو لغرض التنكير، أو لتأكيد الامتنان على المخاطب، وفي الآية استفهام إنكاري تقريرية يحمل المخاطب على الإقرار بأمر يعرفه، ومن خصائص هذا النوع من الاستفهام أنه يكون منفياً يخرج فيه المعنى من الاستخبار إلى الإقرار فيكون أبلغ من التوكيد كما في قوله تعالى ((أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ؟)) يشير إلى ذلك صاحب اللباب فيقول: ((كل ذلك في الأول منفي وفي الثاني مثبت)) (٢) وبنحو الذي قلنا، قوله

تعالى: ((أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)) الأعراف : ١٧٢ . وفي استقهام قوم إبراهيم - عليه السلام - قوله تعالى (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآبِهَاتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) الأنبياء : ٦٢ . إذ لم يكن هدفهم من السؤال الاستعلام ، إنما لحمل إبراهيم - عليه السلام - على الإقرار والاعتراف ومثله استقهام فرعون لموسى : ((قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)) الشعراء : ١٨ ، جاءت في سياق التعبير القرآني من سؤال فرعون لموسى - عليه السلام - ، ليس بقصد الاستعلام إنما بقصد التقرير وحمل موسى على الإقرار بالمستقهم عنه وتذكيره بالامتنان عليه . وقوله تعالى ((أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)) الزمر : ٣٦ وقوله تعالى : ((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ *)) الواقعة : ٥٨ - ٥٩ وقوله تعالى : ((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ *)) الواقعة : ٦٨ - ٦٩ .

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٢٣ / ١٤٤ .

(٢) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥ هـ) ، المحقق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م : ١٨ / ١٤١ .
وقوله تعالى: ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)) الضحى : ٦ وقوله : ((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)) الانشراح : ١ وفي الآيات استقهام للتقرير بنعم الله تعالى تذكيرًا بالنعم ، ودعوة للإقرار بفضل المنعم دل عليه أسلوب الاستقهام وتداعي المعاني وتداعياتها السياقية في التعبير القرآني كشف الغرض البياني من هذا الاستقهام ((أنتم أنشأتم شجرتها)) ؟ عن إلزام المخاطبين به بالحجة الدامغة ، وانتزاع الاعتراف منهم بما أراده ربنا تبارك وتعالى ، وإن البعد الدلالي المستتر خلف التعبير المجازي هو إثارة الانتباه والتدبر والتفكر بنعم الله تعالى والتي لا يمكن تتبع أثرها إلا من خلال الاستقهام في الآيات مدار البحث .

مظهر الابتكار ومتعلقاته

يكتسب مظهر الابتكار ومتعلقاته السياقية أهميته من خلال كشفه مكنونات النصوص القرآنية وصورها البلاغية ، وجمال ودقة التعبير القرآني ، ومن أهم مظاهر الابتكار ومتعلقاته :

أ : ظهور البرق واقتترانه بالخوف : في قوله تعالى : ((هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)) الرعد : ١٢ .

أ : ظهور البرق واقتترانه بالخوف : في قوله تعالى : ((هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)) الرعد : ١٢ .

في الآية يتسع خيال المتلقي ليرسم مشهد البرق فيعتليه الخوف في سياق التعبير القرآني ، وتداعي العبارات التي تحيل إلى الطمع بنزول الغيث والرحمة ثم تتداخل المشاهد لترسم صورة إنشاء السحاب في قوله : ((وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)) هذه الصفة للسحاب لها قيمة تعبيرية وفي قوله : ((وينشئ السحاب الثقال)) أي : ويثير السحاب الثقال بالمطر ويبدؤه ، يقال منه : أنشأ الله السحاب : إذا أبدأه ، ونشأ السحاب إذا بدأ ينشأ نشأً ، و(السحاب) في هذا الموضع وإن كان في لفظ واحد ، فإنها جمعٌ ، مفردها (سحابة) ، ولذلك قال : (الثقال) ، فنعتها بنعت الجمع ^(١) ، ناسب قوله ((ينشئ)) الوصف القائل بأن السحاب ثقال ، فالثقال الواردة في الآية صفة للسحاب في المشهد ، وممكن الابتكار جاء بسبب الترابط بين إنشاء السحاب الثقال وظهور البرق واقتترانه بالخوف ، يذهب إلى ذلك الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فيقول : ((يخاف المطر من له فيه ضرر ، كالمسافر ، ومن له في جريته التمر والزبيب ، ومن له بيت يكف)) ^(٢) ، إذ أن رؤية البرق قد تجمع بين خوف من احتباس المطر ، وطمع في نزوله ونفعه . إن اقتتران البرق بالخوف مرده أن الله تعالى لما خوف عباده بإنزال ما لا مرد له إنما أراد إظهار قدرته العجيبة ، ولمعان البرق ينذر بوقوع الصواعق المدمرة ، ونزول الغيث يشعر بنزول الرحمة والسكينة ، فامتزج البرق بالخوف ، وانبتق منه شعور من يخاف المطر كالمسافر ، ويطمع في نزوله من له فيه نفع .

ب : الإنشاء والتكوين : في قوله تعالى : ((ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) المؤمنون : ٤٤ في الآية تفصيل يستحضر الابتكار في ذهن المتلقي ، ففي خلق الإنسان جمع بين المادة والروح ، جسم مادته الطين له دوافع وشهوات ، وله طبيعة مزدوجة حوت المتناقضات كالخير والشر ، والتقوى والفجور ، وله روح شفاقة تتطلع إلى العلياء ، وتسما إلى حيث رحمة السماء ، يتوافق ذلك التفصيل مع آيات الله تعالى في الإنشاء والتكوين ، في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) المؤمنون : ١٢ - ١٤ . يذهب إلى ذلك الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فيقول : ((خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً، ثم جعل

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ١٦ / ٣٨٧ .

(٢) الكشاف ، الزمخشري : ٢ / ٥١٩ جوهره بعد ذلك نطفة)) (١) ، ودلت المتعلقات السياقية في التعبير القرآني على تنزيهه سبحانه وتوحيده ووجوب الإقرار بقدرته التي أعجزت كل شيء ، إلى ذلك يذهب الرازي (ت ٦٠٦ هـ) إلى القول : ((وفي هذه الآية دلالة على كونه سبحانه وتعالى منزهاً عن الأجزاء والأعضاء وعلى كونه منزهاً عن الجسميّة والمكانيّة، وذلك أنه تعالى عند ما أراد أن يُعرّف عباده ذاته المخصوصة لم يذكر إلا كونه فاعلاً لهذه الأشياء^(٢) وحين اكتملت طوار التكوين تحول إلى خلق آخر ((ثم أنشأناه خلقاً آخر)) يذهب القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في معرض تأويله لقوله تعالى : ((ثم أنشأناه خلقاً آخر)) فيقول: هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جماداً (١) . بيان لما انتهت إليه أطوار خلق الإنسان ، الذي صار بشراً سوياً، بعد أن كان نطفة، فعلة، فمضغة، فعظاماً، فلحماً يكسو هذه العظام، وهذا كله يدل على كمال قدرة الله تعالى ، وعلى أنه حق ، إذ أن قدرته سبحانه لا يعجزها شيء ، ذكر سبحانه في هذه الآية أطوار إنشاء الإنسان وتقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، " فنذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه (من سلالة من طين) أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك " (٢) . ونحو الذي قلنا ، قوله تعالى : ((ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون)) السجدة : ٦ - ٩

(١) الكشاف ، الزمخشري : ٣ / ١٧٨ .

(٢) مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي : ٢٦ / ٤٢٤ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٢ / ١٠٩ - ١١٠ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ،

تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويح ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م : ١ / ٥٤٨ .

وقوله : ((خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين)) النحل : ٤ .

وقوله: أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)) يس : ٧٧ ، أي: بعد أن كان نطفة ثمنى ، وعلقة ومضغة ثم عظاماً ولحماً ، صار إنساناً خصيماً شديداً الخسومة في توجيد ربه الأعلى . كشفت مادة (نشأ) ومتعلقاتها السياقية في التعبير القرآني من خلال الألفاظ المخصوصة في الآية الكريمة عن جمال التعبير القرآني ودلالته البلاغية الدالة على كمال قدر كمال قدرته واستحقاقه للعبادة وحده - جلّ وعلا .

ج: عظمة الابتكار : في قوله تعالى : ((إنا أنشأناهم إنشَاءً * فجعلناهم أبقاراً * غرباً أتراباً)) الواقعة : ٣٥ - ٣٧ ترتبط هذه السورة (الواقعة) بالتي قبلها أفاد أن العذاب للمجرمين ، وإن النعيم المقيم للمؤمنين ، تجلت في الحور العين اللاتي أنشأهن الله انشاءً ، آيات قدرة الله وعجائب صنعه سبحانه ، إذ جاءت لفظة (إنشاء) بصيغة المفعول المطلق لتأكيد ذلك ولتحقيق عظمة الابتكار في (إنشائهن) أي : نساء الدنيا يخلقهن الله تعالى من جديد وإعادتهن إلى حال الشباب والجمال والكمال أبقاراً لم يصبهن طمئ حين ينشأن النشأ الجديد زيادة في التكريم ، ومناسبة الآية التي قبلها ((وفرض مرفوعة)) الواقعة : ٣٤ ، لأن الفرس كناية عن النساء لتأكيد أنهن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز ، فسيجعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد بعمر الشباب في سن أبناء ثلاث وثلاثين وفي الآية تكريم ، أنشأ الله تعالى الحور العين لأولياته وأحبائه ((إنا أنشأناهم إنشَاءً)) ، لم ينكرهن تصريحاً ؛ لأنه ذكر الفرس والمقصود بها المضاجع ، واعتاد العرب على تسمية المرأة رداءً أو إزاراً أو فراشاً ، إلى هذا المعنى يذهب ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) إلى القول : ((لما جرى ذكر الفرس وهي مما يعد للابتكاء والأضطجاع وقت الراحة في المنزل يخطر بالبال باديء ذي بدء مصاحبة الحور العين معهم في تلك الفرس فيتشوف إلى وصفهن ، فكانت جملة: إنا أنشأناهم إنشَاءً بياناً لأن خاطر بمنزلة السؤال عن صفات الرقيقات . فضمير المؤنث من أنشأناهم عائد إلى غير مذكور في الكلام ولكنه ملحوظ في الأفهام . وهذا أحسن وجه في تفسير الآية، فيكون لفظ (فرض) في الآية مستعملاً في معني ويكون لفظ (مرفوعة) مستعملاً في حقيقته ومجازه، أي في الرفع الحسي والرفع المعنوي)) (١) . كشف التعبير القرآني عن هذه المعاني في سياقات هذا الإنشاء ، الذي ابتدأ خلقهن ابتداءً جديداً غير أنه من غير ولادة .

د : الإنشاء ومكونات الصورة : في قوله تعالى : ((وما نحن بمسبوقين * على أن نبذل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)) الواقعة : ٦٠ - ٦٢ إن عملية الإنشاء التي يحيل عليها المشهد، ترتبط سياقياً مع مكونات الصورة التي

ظهرت في الآية الكريمة ، ظهرت هنا بطريفة مسكوت عنها ، يقول الطبري (ت ٣١٠ هـ) : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمُنْكَرِينَ يَوْمَ الْبِعْثِ ((أفرايتم أيها المنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم - النطف التي تمنون في أرحام نساءكم- أنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون)) (٢) وفي الآية لطيفٌ والتفاتة ، أحال المولى جلَّ وعلا المنكرين على الاستدلال بالنشأة الأولى التي خلقهم منها على النشأة الأخرى بعد الموت فقال سبحانه : ((وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ)) لتأكيد قدرته على إحيائهم بعد الموت ، وإنشائهم من جديد ، وفي قوله : ((وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ)) وتأويلها استِدلالاً عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَكَانَ مُفْتَضِلًا الظَّاهِرُ أَنْ يُعْطَفَ بِقَاءِ النَّفْسِ وَيَتْرَكَ عَطْفَهُ فَعَدَلَ عَنِ الْأَمْرَيْنِ ، وَعَطَفَ بِالْأَوَّلِ عَطْفَ الْجُمْلِ فَيَكُونُ جُمْلَةً مُسْتَقَلَّةً مُفْصُودًا لِذَاتِهِ لِأَنَّ مَضْمُونَهُ يُفِيدُ النَّتِيجَةَ ، وَيُفِيدُ تَعْلِيمًا اعْتِقَادِيًّا ، فَيَحْضُلُ الْإِعْلَامُ بِهِ تَصْرِيحًا وَتَعْرِيبًا فَالْصَّرِيحُ مِنْهُ التَّذْكِيرُ بِتَمَامِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ وَلَا تَضْيِقُ قُدْرَتُهُ عَنْ شَيْءٍ (٣) ، ويُلاحظ أيضًا أَنَّ صِيغَةَ (نشأ) الواردة في سورة الواقعة ذات ارتباط بالنشأة نتيجة الترابط بين ذكرها في الآيتين (٦١ ، ٦٢) على التوالي .

(١) ينظر : التحرير والتتوير ، بن عاشور التونسي : ٢٧ / ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٢٣ / ١٣٦ .

(٣) ينظر : التحرير والتتوير ، بن عاشور : ٢٧ / ٣١٦ .

سياق الانبهار في مادة (نشأ) يضع التعبير القرآني إطاراً لصور الانبهار في إيراده لعينات البحث ، قد يدرك المتلقي مواضع الجمال فيها ، بيد أن الوصول إلى مرحلة إدراك الخصائص العامة أو الأسلوب الموحد ليس بالأمر اليسير إلا على من يسره الله عليه ومن بين أهم سياقات الانبهار في القرآن :

أ : قال تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)) الأنعام : ٩٨ في الآية الكريمة تصريح واضح لتوحيد الله تعالى الذي أنشأ الناس كلها من نفس واحدة (نفس آدم) ، يذهب إلى ذلك الطبراني (ت ٣١٠ هـ) فيقول يقول تعالى ذكره: وإلهكم، أيها العادلون بالله غيره (الذي أنشأكم) ، يعني : الذي ابتدأ خلقكم من غير شيء، فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً ، (من نفس واحدة) يعني : من آدم ((١) ، وفي الآية إشارات خفية ، (مستقر ومستودع) المستقر ، في الرحم ، والمستودع ، ما استودع في أصلاب الرجال والدواب ، فَلكُمْ مُسْتَقَرٌّ فِي الرَّحِمِ ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الصُّلْبِ ، أَوْ مُسْتَقَرٌّ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمُسْتَوْدَعٌ تَحْتِهَا . أَوْ فَمِنْكُمْ مُسْتَقَرٌّ وَمِنْكُمْ مُسْتَوْدَعٌ ، يرى الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أَنَّ الْمُتَعَلِّقَاتِ السِّيَاقِيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ أَظْهَرَتْ مَجِيءَ : ((يَعْلَمُونَ مَعَ ذِكْرِ النُّجُومِ وَيَفْقَهُونَ مَعَ ذِكْرِ إِنْشَاءِ بَنِي آدَمَ ؟ قُلْتُ : كَانَ إِنْشَاءُ الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَتَصْرِيْفِهِمْ بَيْنَ أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ أَلْطَفٌ وَأَدَقُّ صَنْعَةٌ وَتَدْبِيرٌ ، فَكَانَ ذِكْرُ الْفَقْهِ الَّذِي هُوَ اسْتِعْمَالَ فَطْنَةٍ وَتَدْقِيقِ نَظَرٍ مُطَابِقًا لَهُ)) (٢) ، وفي قوله : ((قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)) فيها حديث عن النفس وهي من الدقائق التي تعلق على علمنا المجرد ، وبذات الوقت تحتاج إلى فقه بها لسبر أغوارها ، وافق ذلك قول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) أن (التعريف في الآيات للإستغراق فيشمل آية خلق النجوم وغيرها. والعلم في كلام العرب إدراك الأشياء على ما هي عليه)) (٣) ،

(١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ١١ / ٥٦٢ .

(٢) الكشاف ، الزمخشري : ٢ / ٥٠ - ٥١ .

(٣) التحرير والتتوير ، بن عاشور : ٧ / ٣٩٥ وناسب مجيء الآية التي قبلها التعريض بالمشركين الذين صرفوا عبادتهم لغير الله . واجتمع في هذه الآية تعريضٌ بمن جهل التفكير بألاء الله الدالة على توحده ، وفي ذلك يقول ابن درويش : ((معلوم أن للجهل حالين متغايرين: أولهما جهل لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها، وثانيها جهل خارج عن أنفس النظر أي : النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية)) (١) . ويلفت هذا التعبير القرآني إلى عظمة الخلق المقترنة بذكر الإنشاء .

ب : قال تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالرَّيْثُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)) الأنعام : ١٤١ .

في الآية الكريمة تصوير مبهر للكيفية التي ابتدئها وابتدأ بها خلق تلك الجنات (البساتين) ، والابتداء يعني الإنشاء ، فمن ابتدأ شيئاً أنشأه ، يرى الإمام الطبري (ت ٣١٠ هـ) : إِنَّ هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَذْكُرُهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَتَنْبِيهُ مِنْهُمْ لِمَنْعِهِمْ عَلَى مَوْضِعِ إِحْسَانِهِ ، وَتَعْرِيفٌ مِنْهُمْ لِمَنْعِهِمْ مَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ وَقَسَمَ فِي أَمْوَالِهِمْ مِنَ الْحَقُوقِ لِمَنْ قَسَمَ لَهُ فِيهَا حَقًّا (١) جعل سبحانه هذه الجنات نوات عروش أي : معروشات كشجرة الكروم وغير معروشات مما تنتبه الأرض ، أو مما يغرسه بني آدم ، يذهب إلى ذلك الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فيقول (أنشأ تأتي

من الكروم مغرُوشاتٍ مسموكات ، وَغَيْرَ مَغْرُوشَاتٍ مَتْرُوكَاتٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَمْ تَعْرِشْ وَقِيلَ الْمَعْرُوشَاتُ مَا فِي الْأَرْيَافِ وَالْعِمْرَانِ مِمَّا غَرَسَهُ النَّاسُ وَاهْتَمَوْا بِهِ فَعَرَّشُوهُ وَغَيْرَ مَغْرُوشَاتٍ مِمَّا أَنْبَتَهُ وَحَشِيَاءُ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْجِبَالِ . (فَهُوَ غَيْرُ مَعْرُوشٍ) ((٣) .

(١) إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ : ٣ / ١٨١ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ١٢ / ١٥٥ .

(٣) الكشاف ، الزمخشري : ٢ / ٧٢ ويذهب إلى ذلك أيضا الإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ) فيقول : أن (المعروشات : ما عرش الناس وغير معروشات : ما خرج في الجبال والبرية من الثمرات) (١) . وذكر الجنات بذكر أنها معروشات أو غير معروشات تكني عن عظمة الخلق وما يرتبط معها من انبهار وأنشأ في هذه الآية أحكاما شرعية تتعلق بحقوق الفقراء (الزكاة) ، وفيه نهي عن الإسراف والتقتير ، وبيان فيه ذم للمسرفين) وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ يَعْني الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ يَوْمَ يَكَالُ وَيُعْلَمُ كَيْلُهُ ((٢) وفي ذلك أمر رباني ببيتاء الصدقة التي فرضها سبحانه في الثمار والحبوب ، وفي الأمر استدلالاً على الصانع الحكيم ودليل على وحدانيته وأنه خالق كل شيء ومقدر الأرزاق لخلقه

ج : قوله تعالى : ((الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)) ((النجم : ٣٢ وردت مادة (أنشأ) أي : خلق ، ومتعلقاتها السياقية في هذه الآية لتفصح عن دلائل توحيد الله ، وبيان اقتداره الذي لا يتسع عقل البشرية لاستيعاب ذلك الاقتدار ، والذي فيه دعوة وضوح لعبادة الواحد القهار ، وعدم سلوك طريق أهل الشرك والبولار إن علم الله الذي أنشأ الخلق كلهم من الأرض نفساً واحدة ، وخلق منها الناس جميعاً ، يعلم سبحانه من يجيب دعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ممن لا يجيب ، وفي قوله تعالى : هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، يذهب الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) إلى القول : ((يجوز أن

(١) الدر المنثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر - بيروت : ٢ / ٣٦٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، المحقق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي ببيزون - بيروت ، ط ١ - ١٤١٩ هـ : ٣ / ٣١٢ يتعلق بقوله : ((هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى)) ؛ لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من سوء وبالْحُسْنَى بِالْمَثُوبَةِ الْحَسَنَى وَهِيَ الْجَنَّةُ (١) وفي الآية إخبار وإسفار ، يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ، ومالك الملك والملكوت ، وأنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ، أي : يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ (٢) وفي قوله : ((هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى)) تتميم للإعلام بإحاطته لملكه وما احتواه من عوالم ، وفيه وعد للذين آمنوا بنيلهم الجزاء الأوفى ، وجعل الجزاء علّة لثبوت ملكه سبحانه ، وبشارة للنبي - صلى الله عليه وسلم - الذي رأى من آيات ربه الكبرى

سياق التعلق لمادة (نشأ)

يستحضر القرآن الكريم آيات متعددة تتألف فيما بينها وتتعلق بطريقة موحية :

أ : قوله تعالى : ((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)) ((الأنعام : ٦ في الآية التفات عن الغيبة ((أَلَمْ يَرَوْا)) ، والالتفات كما هو مقرر في علم البديع من فوائده إطرأ الكلام وتطبيبه ، وصيانة السمع وتنزيهه ، وتسرية النفس ونقائها ، وفيه استفهام إخباري وتوبيخ ، ((أَلَمْ يَرَوْا)) الهمزة هنا للإنكار والتوبيخ ، المقصود به أهل مكة ، ((كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ)) وكم : استفهام خبري ، والقرن يطلق على أهل كل عصر لاقتراנם به ، أي : ((أَلَمْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْمَكْدُوبِينَ بِآيَاتِي ، الْجَا حِدُونَ نَبُوتَكَ ، كَثْرَةً مِنْ أَهْلِكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ، وَهَمُّ الْأُمَمِ ، الَّذِينَ وَطَّأَتْ لَهُمُ الْبِلَادُ

(١) الكشاف ، الزمخشري : ٤ / ٤٢٥ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : ٧ / ٤٢٦ والأرض توطئة لم أوطئها لهم ، وأعطيتهم فيها ما لم أعطهم)) (١) . استدعت الإحالة وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - للتذكير بأخبار الأمم السابقة ، وكذا الإعلام بصبر الأنبياء والمرسلين على جحود أقوامهم وتلطفهم في دعوتهم ، وفي الآية الالتفات في قوله : ((مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ)) ، إذ أن المتعلقات السياقية في التعبير القرآني تقتضي أن يقول : (ما لم نمكن لهم ، لتخصيص المرسل إليهم الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - بالموالفة ، فضلا عن تطرية

نشاط السامع (٢)، وفيها المجاز المرسل في قوله: (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا) أراد المطر الكثير وعبر عن المطر بالسماء لأنه ينزل منها وفي قوله (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ)) أي: من تحت أشجارهم ومنازلهم كناية عن كسرة بسايتهم وازدهارها بما أنعم الله عليهم ، وحين جحدوا نعم الله واتبعوا غير سبيله أهلكم الله قرنا بعد قرن ، (وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)) بعد هلاك الكافرين خلق وأوجد أمة الموحدين وفي هذا إظهار كمال قدرة الله ، وجلال كبريائه ، وقوة سلطانه ، يهلك من يشاء ، وينشئ ويوجد من يشاء متى شاء كيف شاء وينحو الذي قلنا ، قوله تعالى (وَرَبِّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ)) الانعام : ٣٣ او قوله تعالى (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)) المومنون : ٣١ وقوله تعالى : ((ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)) المومنون : ٤٢ وقوله تعالى (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ)) الأنبياء : ١١ . ذلك يقتضي الاعتبار والاتعاظ بحال الهالكين ، والتمسك بحبل الله المتين ، والتفكر والانتباه من نوم الغفلة ، ورقدة الجهالة .

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ١١ / ٢٦٣ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش : ٣ / ٦٧ .

ب : قوله تعالى : ((وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قَرْوَنًا فَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ)) القصص : ٤٥ في الآية ((وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا)) أنشأنا : أي : خلقنا ، وصف لأمم خلقها الله تعالى في الفترة ما بين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبين الكليم موسى - عليه السلام - ((فَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ)) أي : طال عليهم الأمد ، وتغيرت عندهم الشرائع ، وشاع بينهم التحريف ، فنسوا عهد الله وميثاقه ، فكانت بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ضرورة وحاجة ، وكان نزول القرآن ليكون معجزة له ، فيه أخبار موسى والأنبياء وأقوامهم وتذكيراً لأمتك .

اقتران النشأة بأول الخلق وآخره

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة ، ونفخ فيه من روحه ، وجعل جميع أجزاء الجسم تعمل بتناغم جميل كل يقوم بمهمته دون تكاسل ، وفي سياق التعبير القرآني مع مادة (نشأ) ذُكرت ثنائية تكوين الكون والمخلوقات في :

أ : قوله تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) العنكبوت ٢٠ . المتأمل في هذه الثنائية من بدايتها (كيف بدأ الخلق) تستدعي التفكير والتدبر ، ثم نشأة الآخرة ، وأراد ب (النشأة الآخرة) الحياة التي بعد الموت ونعني بها النشور وفيه استجابة لمتطلبات السياق ؛ إذ إن الموت مطلوب مثلما هي الحياة ، وللفت الانتباه إلى الغفلة التي قد تنتاب الإنسان يذهب أبو الطيب محمد بن صديق خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) إلى بيان النشأة الآخرة في قوله تعالى : ((ثم الله ينشئ النشأة الآخرة)) فيقول : ((إن الله الذي بدأ النشأة الأولى وخلقها على تلك الكيفية، ينشئها نشأة ثانية عند البعث، أي فكما لم يتعذر عليه إحداثهم مبدئاً كذلك لا يتعذر عليه إنشاؤهم معيداً بعد الموت ، وهذا دليل على أنهما نشأتان وأن كل واحد منهما إنشاء أي ابتداء واختراع، وإخراج من العدم إلى الوجود)) (١) ، وفي قوله : ((ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ)) فيها وجه بلاغي وهو : (الجناس المغاير) (٢) وفي قوله ((إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) كأنما يريد منا أن نعترف أنه سبحانه على كل شيء قدير من البداية والإعادة . ونحو الذي قلنا قوله ((وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ)) النجم : ٤٧ . أراد به الخلق الثاني ، البعث بعد الموت ، ذلك يوم القيامة ، وفاء بعهدهم الله تعالى ، وظهرت (الآخرة) لتستدعي الأولى وقوله : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ)) الواقعة : ٦٢ . إذ جاء هذا المشهد من مشاهد القيامة في معرض الحديث عن ((النشأة الأولى)) ، التي أظهرت دلائل قدرته سبحانه وتعالى على إحياء الموتى ، وأضفت مشاهد لاقتداره إلى ما يُشاهد من خروج النار المنيرة من العود الندي الرطب ، كعودي المرخ* والعفرار* إذا ضرب أحدهما الآخر ، انقذت النار منهما وهما نديان رطبان ((أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ)) القيامة : ٤٠ . أحال تقديم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سبقت عذابه ؛ لأن المتعلقات السياقية في التعبير القرآني اقتضت ذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه .

ب : قوله تعالى : ((قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)) يس : ٧٩ ظهرت هذه الثنائية بطريقة أخرى اقترن فيها الإنشاء بالخلق (أنشأها - خلق) للإقرار في إن الذي أنشأ الإنسان أول مرة ، قادر على إعادة إنشائه مرة أخرى ، ومناسبة ورود لفظ (أنشأها) ولفظ (خلق) فإن من خصوصيات الاستعمال في القرآن الكريم مراعاة السياق الذي ترد فيه اللفظة ، بل مراعاة جميع المواضع التي ترد فيها اللفظة ، وينظر إليها نظرة واحدة وذلك في القرآن الكريم كله .

(١) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الامين الهريري ، دار طوق النجاة ، بيروت - لبنان ، ط ١ - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م : ٣٨٨/٢١ .

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م : ١٠/١٧٩ في الآية تبيكت وتذكير للإنسان الذي ينسى فطرته التي تدل على حقيقة حاله ، وفي قوله (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا) بيان تعجيز أنه وحده سبحانه الذي ابتدأها وخلقها ومن هو قادر على النشأة الأولى قادر على النشأة الثانية ، فلا تخفى على الله خافية (ذكر لنا أن أباي بن خلف، أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعظم حائل، ففتته، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: "والله يحييه، ثم يميته، ثم يُدْخِلُكَ النَّارَ؛ قال فقتله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد) (وفي قوله : ((قُلْ يُحْيِيهَا)) إشارَةً إِلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ ، وفي الآية حجة على من أنكر علم الله تعالى سبحانه (وهو بكل خلق عليم) وفي قوله (عَلِيمٌ)) إشارَةً إِلَى كَمَالِ الْعِلْمِ (٢) وجاء ب (خُلِقَ) لأنها تتناسب الإنشاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٢٠ / ٥٥٤ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي : ١٧ / ٢٠١

الذاتية :

- ١- وردت مادة (نشأ) أي : خلق ، ومتعلقاتها السياقية في القرآن لتصح عن دلائل توحيد الله ، وبيان اقتداره الذي لا يتسع عقل البشرية لاستيعاب ذلك الاقتدار الذي فيه دعوة وضوح لعبادة الواحد القهار ، وعدم سلوك طريق أهل الشرك والبولار .
- ٢- إِنَّ يَذْكَرْ ابتداء خلق الإنسان وانتهاء أمره دلالة إبداع وابتكار ، ورد في سياق التذكير بنعم الله عز وجل ، بشقيها المادي والمعنوي .
- ٣- كشف سياق التعبير القرآني عن اختصاص الليل بالأنفحات الإلهية ، والتجليات الربانية ، وسكون القلوب وانقطاعها عن الشواغل الدنيوية.
- ٤- ثنائية تكوين الكون في بداية الخلق ، (كيف بدأ الخلق) دعوة للتأمل والتفكير والتدبر ، ثم نشأة الآخرة ، أي : البعث ، تأمل النهاية ب ((تَمَّ اللَّهُ ٥- إِنَّ مَادَةَ (نَشَأَ) وَمَتَعَلَقَاتِهِ السِّيَاقِيَّةَ فِي التَّبْعِيْرِ الْقُرْآنِيِّ اسْتَدْعَتْ عُقُولَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ خِلَالِ دَلَالَةِ الْأَفْظَاظِ ، ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ)) وَأَمْتَنَّ ٦- إِنَّ اقْتِرَانَ الْبَرَقِ بِالْخَوْفِ فِي سِيَاقِ التَّبْعِيْرِ الْقُرْآنِيِّ مُرَدُّهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَوْفَ عِبَادِهِ بِإِنْزَالِ مَا لَا مَرَدَّ لَهُ إِنَّمَا أَرَادَ إِظْهَارَ قُدْرَتِهِ الْعَجِيبَةِ ،

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ .
- ٢- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ هـ .
- ٣- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، المحقق: محمد حسين شمس
- ٤- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الامين الهريري ، ط ١ - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ،
- ٦- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر
- ٧- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق: أحمد الدردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٨- الدر المنثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت .
- ٩- فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ)
- ١١- مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ - ١٤٢٠ هـ .